إشكالية الدقة في المصطلح العربي

د. ممدوح خسارة

مفهوم الدقة في المصطلح: لكي لايبقى مفهوم الدقة غائماً ومطلقاً، لابد من التنبه على أن ما نعنيه بالدقة شيئان:

آ ـ ألا تجانب دلالةُ المصطلح اللفظية مفهومَه العلمي، وهو مانعبر عنه (بالدقة العلمية).

ب ـ ألا تجانب دلالتُه الاصطلاحية دلالتَه اللغوية، وهو ما نعبر عنه (بالدقة العلمية).

أي أن يؤدي المصطلحُ المفهومَ العلمي المقصود، وأن يكون هذا المصطلح سليماً من الناحية اللغوية مبنىً ومعنىً.

1) **حجم الاشكالية**:

الوضوح والدقة والإيجاز أهم خصائص اللغة العلمية التي يشكل المصطلح دعامتها الأساسية. والخاصيتان الأوليان أعني (الوضوح والدقة) متلازمتان، لأن الأولى من أهم أسباب الثانية، وهما معاً دليلُ قوة الدلالة في المصطلح. وان غياب الدقة أو نقصها في المصطلح يعني غموض مفهومه واستبهامه في ذهن المعرِّب، فما لايكون واضحاً في الذهن لايمكن أن يُعبر عنه بدقة. لذلك فإن الحديث عن دقة المصطلح يتداخل دائماً مع الحديث عن الإبهام والغموض فيه.

إن «من حق المعنى أن يكون الاسم له طبقاً، وألا يكون له فاضلاً ولا مفضولا ولا مقصِّراً ولا مشتركاً ولا مضمَّناً[1]. لعل هذه الكلمة من أقدم الإشارات الى وجوب التطابق بين الاسم ومدلوله قدر الامكان، وهذا ما نعبر عنه في حديثنا عن المصطلح (بالدقة)، ولعلها من أقدم الإشارات الى وجود خلاف بين المتلاغين، حول مدى توفر عنصر الدقة في المسمَّيات، وإلا ما خصَّها الجاحظ بحديثه في البيان والتبيين.

وكان توخي الدقة في المصطلحات والألفاظ مدار كل التعقيبات والاستدراكات التي كانت صفحات المجلات المتخصصة ساحة لها.

على أنه لابد من التنبُّه بين يدي البحث على بعض الحقائق حول موضوع (الدقة) في نظرنا وهي:

آ ـ إن الدقة من أهم شروط المصطلح العلمي، وهي مع الوضوح والإيجاز، أهم متطلبات اللغة العلمية[2]. «وقديما قالوا: العلم لغة أُحكم وضعها..... وكلَّما كان المصطلح دقيقاً محكماً كانت الصلة بين العلماء أوثق وأقرب، وكان مجال الخلاف أقل، ولذلك يقول (ليبنتز) الفيلسوف الألماني المشهور: (إن معظم الخلافات العلمية ترجع الى خلاف على معنى الالفاظ ودلالتها، ويوم يصطلح العلماء على دوال معينة تضيق مسافة الخلف كثيراً)، وليست قيمة المصطلح بمقصورة على العلماء وحدهم، بل تتعداهم إلى المعلمين[3]».

لكن هذه الحقيقة يجب أن تفهم في ضوء حقيقة موازية وهي أن «المصطلح لايعني تسمية جامعة مانعة للمسمَّى، كما يظن الذين لم يدرسوا علم اللغات، بل يرمز إليه رمزاً لِصلةٍ بين الرمز والمرموز إليه، فالاصطلاح مقصِّر دائما عن الإحاطة بمعنى الشيء المسمَّى[4]» «وأنه ليس من الضروري أن يكون المصطلح العربي شاملا لجميع معاني المصطلح الأعجمي[5].

وإن دقة المصطلح لاتعني استقصاءه «لكل دقائق المفهوم العلمي الذي يعبر عنه، أو الإحاطةَ إحاطةً شاملة جامعة بدقائق المفهوم المسمَّى به.. بل يكفي الاتفاق بين المختصين على ذلك، مع وجود علاقة أو ملابسة بين لفظة المصطلح وبين دلالته... فالاتفاق هو الأصل وما سواه تبعٌ له[6]». نقول هذا لأننا وجدنا نماذج من التمحُّل في طلب الدقة ومن سوء فهمها ما يجعل مثل هذا التقديم ضرورياً، مثال ذلك ما دعا إليه بعضهم من تغيير مصطلح (هاتف) الى (مهتفة)، بحجة أن الأخير جاء على صيغة اسم الآلة (مِفْعَلة) في حين لم يأت عليه الأول، فأي تعمُّل هذا الذي يعمد الى مصطلح راسخ موحد فيحاول تبديله متوهما أن أسماء الآلة لاتأتي إلا على الصيغ المشهورة المتداولة[7].

لكننا مع هذا التحفظ، لسنا مع من ينكر أهمية أية صلة بين لفظ المصطلح ومدلوله عندما يقول: «فالعلمُ لايحتاج الى أصول الكلمات بل يقتصر على رموز تستمد أصولها من لغة الاختصاص أو اللغة الماورائية، فلا غرابة أن نسمي الأوكسجين (سمراء)،

والبروتون (علياء)[8].

نقول لسنا معه لأن الاصل عندنا أنه لابد من وجود صلة أو مناسبة بين اللفظ ومدلوله لأن اعتباطية التسمية ليست من أصول لغتنا.

ب ـ ان ظاهرة نقص الدقة ليست مقصورة على ألفاظ المحدَثين ومصطلحاتهم، بل هي مما يصادفنا في معاجمنا القديمة، حتى تلك التي نهض بها لغويون محققون كابن سيده مثلاً، فقد ورد في المخصص (12:2): «الفَتَخُ: استرخاء المفاصل من رُسُغ أو مَأْبض أو مِرفق.» ورد في المعجم ذاته (60:2): «عن أبي عبيد: الفَتَخ: عِرَض القدم وطولُها». ولم يفت هذا الخلاف ابن سيده إذ نبه على مثله في بعض المواطن فقال: «الرزاحي: الوابلة، رأس الفخذ، وقد تقدم أنه رأس العضد[9]». «وذكر لغويان كبيران تعريفَيْن لكلمة واحدة، فقال الخليل: «الكُرْدوس: فِقْرَة، فكل عظم عَظُمَت نَحْضَتُه فهو كردوس» وقال ابن دريد: «كل مِفْصَلين اجتمعا فهو كردوس»[10]. ومع ذلك فان توخي الدقة في اللفظ والمصطلح كان غاية عند علمائنا القدماء، وكانوا «إذا لم يزد مصطلحٌ معناه أداء كاملا عُدل عنه الى ماهو أضبط وأدق، فترجمت مثلاً كلمة (Ausia) اليونانية في البداية بلفظ (عين) ثم عدل عن هذه ـ لعموميَّتها ـ إلى كلمة (جوهر) الفارسية في الأصل[11]».

ج ـ إن إشكالية نقص الدقة في المصطلح ليست مقصورة على العربية فحسب، بل هي عامّة بين جميع اللغات، وليس صحيحاً ما يدعيه بعضهم «من أن الالفاظ الاصطلاحية العربية كثيراً ما تتّسم بالميوعة وانعدام الدقة[12]»، وأن مصطلحات الفرنجة «قد اكتسبت ثباتاً ودقة وتحديداً ينتفي معه كل لبس أو خلط[13]». فالواقع أن ما من لغة إلا تعاني من لبس أو غموض أو نقص أو دقة في مصطلحاتها، «وأن المصطلح الأعجمي نفسه كثيراً ما يقصُر عن أداء ما يدخل فيه من المعاني[14]. ومن الأمثلة على ذلك استعمالهم عبارة (Force Vive) أي (القوة الحيّة)، وهي خطأ، فقد استبدلت بها الآن عبارة (Energie Cinétiqu) أي الطاقة الحركيّة. وكذلك عبارة (Moment Cinétique) أي (العزم الحركي). ويسمى الآن (Impulsion Angulaire) وبالانكليزية (Angular Momentune) أي (الاندفاع الزاوي)[15]. بل يرى بعض المعربين أن مصطلحات عربية قد تكون أكثر دقة من رصيفاتها الأجنبية، يقول الدكتور عبد الكريم اليافي: «اننا نجد أحياناً أن اللفظ العربي أسلم تعبيراً من اللفظ الاجنبي، فمن المعروف أن لفظ (الذرة) التي قوبل بها اللفظ الاجنبي (Atom) أصلحُ من هذا اللفظ، لان اللفظ الاجنبي وُضع ظناً أن مدلوله لايتجزأ، ولكن تقدم العلم

أفضى الى تجزئة (الأتوم) الذي أصل معناه (لايتجزأ)، فهناك تناقضٌ بين اللفظ ومعناه، ويشهد على ذلك نظرية (الجزء الذي لايتجزأ Atomisme»[16].

د ـ اننا نؤمن بأن الاستعمال قادر على استبدال المصطلح الدقيق بالمصطلح الأقل دقة، لان المصطلحات تخضع لقوانين الحياة في الاصطفاء والاختيار، وأن ما لايصلح منها يسقط في الاستعمال والممارسة، وبيَّنت لنا تجربة العرب في النقل والتعريب عن اليونانية وغيرها أن مصطلحات عدة استعملت فترة ثم سقطت وذهب ريحها، وأن كلمة (Egocentrisme) كانت تترجم بـ (التركيز على الأنا)، ثم صارت تترجم بـ (الأنوية) وكلمة (Conscience) كانت تترجم بـ (الشعور)، ثم وضع لها مصطلح (الوعي)[17]».

وغني عن البيان أننا لانعدُّ أقوالنا فيما ذكرناه وما سنذكره من أمثلةٍ عن دقة المصطلح أو عدمها، حجةً من الناحية العلمية، لأننا لسنا من المتخصصين في علوم تلك المصطلحات، وإنما نحن ننقل عمَّن يُفترض فيهم الخبرة العلمية أو التقنية، ممن بحثوا في هذا الموضوع.

2) مظاهر نقص الدقة:

لهذه الإشكالية مظاهر كثيرة أهمها:

المظهر الأول: التعبير عن عدَّة مصطلحات أجنبية بمصطلح عربي أو لفظ عربي واحد، فقد ترجم المصطلحان (Substance) و (Essence) **بمصطلحٍ عربي واحد هو (جوهر)[18]**. وترجمت بكلمة (الزعامة) **كلمتا** (Autority,Léadership)[19]، وترجم **بمصطلح** (قناة الطَّفْح) المصطلحان (Channel Overflow) و (Channel Splihvay) [20]. ووضع **للمصطلحَيْن الأجنبيين: (Artistique, Technical) مصطلحٌ واحد هو (فني) «على تفاوتٍ** شديد بين المعنيين، فاللفظة الأولى تعني فنون الآلة والميكانيكا، بينما اللفظة الثانية تعني الفنون الجميلة من رسم ونحت، فلو اعترضت المترجمَ عبارةُ (تعاون فني) لاضطرب في فهم المعنى المقصود من هاتين اللفظتين المجردتين وهل هو (Artistique Coopération) أو (Technical Cooperation). وهناك لفظة (آلي) التي تستخدم أداء لمعنى (Automative, Automatic, Mechanical)، والفروق بينها شاسعة»[21]. وهذا المظهر من الإشكالية نقيضٌ لإشكالية (تعدُّد المصطلح)، فإن كنا شكونا هناك من تعدُّد المقابلات العربية **للمصطلح** الأجنبي الواحد، فاننا نشكو هنا من وحدانية المقابل العربي للمصطلحات الاجنبية

المتنوعة.

المظهر الثاني من مظاهر نقص الدقة في المصطلح العلمي: مانراه من عدم التوافق بين المصطلح ومايُراد به من مدلول. مثال ذلك توليد (مِصْعَقة) في مقابل المصطلح (Paratonnerre) «اسم آلة من (صعق) للجهاز الذي يستقبل الصاعقة ويدرأ خطرها وأذاها[22]». ويُلحظ عدم الدقة في هذا المصطلح، وكذلك في المصطلح الآخر (مانعة صواعق)، كما سماها آخرون، والأدق أن تسمى (واقية صواعق) لان هذا الجهاز لايصعق ولايمنع الصاعقة، وانما يجذبها ويُذهب مفعولها، فهو يقي منها، أما (المصعقة) فهي تفيد عكس المعنى. ومن المصطلحات المتناقضة على هذه الشاكلة «الصلب الطري (Mild Steel). إذ كيف يكون صُلباً وطريا في آن واحد؟»[23]. وأخذ الدكتور حسني سبح على مترجمي (معجم كليرفيل) ترجمة بعض المواد بغير مدلولها، وهي مصطلحات اختصاصية طبية. «مثل: (Aliment de lest): أغذية ضخمة، والصواب: أغذية الملء، و (Stéréotype): طباعة بالحروف المصفَّحة، والصواب: النمطية»[24]. واعترض الدكتور أحمد عمار على ترجمة مصطلح (Physiologie) (بوظائف) أو (علم الوظائف)، «لِما فيه من التباس مع المعاني الاخرى لكلمة وظائف»[25].

المظهر الثالث من مظاهر نقص الدقة العلمية: وضعُ مصطلح على شكل تركيبٍ إسنادى كترجمة المصطلح (Characterless Apportunist) بعبارة: (الذي لا مبدأ له غاية)[26]. أو على شكل فقرة مثل: (انطلاق كبريتيد الإيدروجين حُرّاً من المنافذ البركانية ومن بعض الينابيع المعدنية)، ومثل (من الضروري في المناجم الغازية اتخاذ احتياطات لتجنب اشعال النار في المناجم)، ومثل: (تُرسل البضائع خالصة التحميل أو يدفع رسم التحميل فيما بعد وفقاً لما إذا كانت الأجرة دفعت مقدما من الراسل أو تدفع عند الوصول بواسطة المرسل إليه)[27]. وواضح أن هذه ليست مصطلحات غير دقيقة فحسب، بل هي شروح، ويبدو أن الواضع صعب عليه وضع مصطلح واضح، فقدم مفهومه على أنه مصطلح، مع أنه لايصح إطلاق اسم مصطلح على مثل هذه الشروح.

المظهر الرابع من مظاهر نقص الدقة: مانلاحظه على بعض المصطلحات من غموض وابهام، وهذا الغموض هو حصيلة غموض معنى المصطلح ومدلوله في ذهن المعرّب. «ولاشك أن ما ذهب إليه (بوالو) صائبٌ حينما قال: (إن مايتصوره الذهن جيدا يلقى أو يقال بوضوح)، فالمختص الذي يحيط بموضوعه ويدرك دقائقه يستطيع أن يتمثله في ذهنه

بشكل جيد، وبالتالي فهو المؤهَّل لان يعبر عنه بوضوح[28]». وفي هذا المعنى ينصب قول الدكتور أحمد مختار عمر بأن عدم الدقة عند وضع المصطلح قد يأتي «نتيجة عدم الدقة في فهم مايعبر عنه. ومن ذلك عدم التفرقة بين المصطلحين (Nasality, Nasalisation) مع أن الأول يعني تسرُّب الهواء كلياً من الأنف، والثاني يعني تسرُّب الهواء من الأنفُ مع استمرار تسربه من الفم، وقد استخدم المدققون للأول المصطلح (الأنفيَّة)، وللثاني مصطلح (التأنيف)»[29]. والظاهر أن غير المدققين وضعوا للمصطلحين الأجنبيين مقابلاً عربيا واحداً أعوزته الدقة الوضوح.

3) أسباب نقص الدقة:

ثمة عوامل وأسباب ينجم عنها القصور في مستوى دقة المصطلح أهمها:

1- **نقص الخبرة العلمية التخصصية**: إن من أهم الشروط الواجب توفرها في واضع المصطلح الخبرة العلمية في مجال اختصاصه، ونظراً لتنوع الاختصاصات العلمية فانه يصعب على واضع المصطلحات الإلمامُ بها جميعا، لاسيما أن الجهود الفردية قد غلبت على كثير من حالات تعريب المصطلحات، فقد ذهب بعض المعربين في علم الحشرات الى استعمال مصطلح «(عائلة الحفار)، والاسم الصحيح: [كما يقول الشهابي] الفصيلة الجدجدية. و(عائلة البق متشابهة الأجنحة)، والاسم الصحيح: (فصيلة الزيزان)، و(عائلة ذباب الخيل) والاسم الصحيح (فصيلة النعر)[30]»، «كما وضع المعرب مصطلح (عائلة) بدل (فصيلة)، وأطلق عليها أسماء ليست لها، وليست مما اتفق عليه المتخصصون.

ويرى الدكتور جميل صليبا أن مصطلح (Emotion)، لايقابله ما وضع له وهو (الانفعال)، لان «هذه الترجمة لاتخلو من الالتباس، لان الانفعال لفظ عام يشمل الحسَّاسية والألم والعاطفة والميل والهوى، في حين أن كلمة (Emotion) يُقصد بها الحالات المفاجئة من غضب وخوف وخجل وما أشبه ذلك، ويفضِّل أن تترجم بلفظ (هيجان)[31]. «ووضع بعضهم مصطلح (الورم الكلوي) لمقابلة المصطلح (Hypernephroma)، يقول الدكتور مرشد خاطر «إن هذا الورم ليس كلويا، فالترجمة الصحيحة هي (ورم كُظْري)، فإن الورم يقع في المحفظة فوق الكلية أو ماسميناه (الكُظْر)[32]» ومن هذا القبيل ـ بحسب الدكتور هيثم الخياط ـ أن مصطلح (النسبة القصوى) مقابل مصطلح (Critical Percentage) غير دقيق، ويرى «أن يعرب بكلمة (نسبة

الحَرَج)، لأن (Critical) تدل على ذلك بالذات، ولان (قصوى) تكون مضللة أحيانا، لأن الحرج قد لايأتي دائما بالنسبة القصوى»[33]. وواضح أن نقص الدقة هنا يعود الى درجة إدراك مدلول المصطلح العلمي وحقيقته، من ذلك أن كلمة (Abaca) تُرجمت في المعجم الموحد للمصطلحات العلمية بكلمات (قِنَّب، موز النسيج، قنب مانيلا) مع أن (أبق) كلمة معربة قديماً، وهي ألياف تستخرج من قنب مانيلا أو موز النسيج، وليست هي القنب إياه كما ذهبوا[34]. إن أي تدنٍّ في درجة إدراك المدلول العلمي الحقيقي للمصطلح سوف يؤدي بنا الى مصطلح تعوزه الدقة العلمية المطلوبة، ومما يمكن أن نمثل به لهذه المقولة: «أن المعرِّبين عامة ترجموا كلمتي (Empirique, Expérimental) بكلمة واحدة هي (تجريبي) دون التفريق بينهما، في حين أن موسوعة (Universal) توضِّح أن عبارة (Expérimental) هي عبارة مديح، في حين أن (Empirique) هي عبارة ذم[35]». مع أن كلتيهما تشتركان في معنى (التجريبيَّة)، لكن الأولى (تجريبي) بمعنى أنه مبني على الملاحظة والاختبار، كما في التجربة الفيزيائية، والثانية (تجريبي) بمعنى أنه مبني على الظن والتخمين دون اهتمام بالدقة العلمية، كما هي الحال عند المشعوذين من مدعي الطب.

2- **ضعف الخبرة اللغوية أو غيابها**: التعريب عملية لغوية بالمقام الأول، غايتها تطوير لغة الامة وتنميتها وجعلها وافية بمتطلبات العصور المتجددة، وقادرة على تلبية حاجات الناطقين بها على جميع الصعد. وان طرائق التعريب من ترجمة وتوليد واقتراض، هي أصول لغوية، فالترجمة غوص في اللغة لاستخراج كلمات تقابل الكلمات الاجنبية، والتوليد استخدام خواص العربية لصنع الكلم الجديد وابداعه، والاقتراض إخضاع الألفاظ الاجنبية لخصائص النطق العربي.

فالموضوع ـ كما يرى ـ لغوي أصلاً، وهو قديم في لغتنا قدم وجودها واحتكاك أهلها مع الآخرين. وعليه، فان وضع المصطلح مما لايُستغنى فيه البتة عن الخبرة اللغوية التي نعني بها تمثُّل خصائص هذه اللغة وأصولها وأساليبها في التوليد والتجدد، وطالما أدى غياب الخبرة اللغوية أو نقصها الى وضع مصطلحات تعوزها الدقة والوضوح اللذان هما شرطا المصطلح العلمي المؤهل للقبول وإغناء اللغة. ولاتنحصر الخبرة اللغوية العربية باللغويين فحسب، بل تتوفر لدى كل من وطَّن نفسه على دراسة هذه اللغة وتفهمه واستكناه أسرارها، سواء أكان مختصا بعلوم العربية، أم بعلوم أخرى، جمع اليها دراسة

لغوية جدية. وإن تدني الدقة في بعض المصطلحات لايفسره إلا غيابُ هذه الخبرة اللغوية.

ويتجلى هذا الغياب بجهل ما في لغتنا من مقابلات دقيقة لمصطلحات أجنبية، إن الذي ترجم كلمة (بليزار) الفرنسية بمصطلح مركب هو (عاصفة ثلجية)، ربما يجهل أن «في لغتنا اللفظةَ المقابلة تماماً وهي (الدَّمَق) جاء في القاموس المحيط: الدمق: ريح وثلج، وكذلك في اللسان والمخصص[36]».

كماأن الذي حار في ترجمة اللفظ الفرنسي (كران)، فعرَّفه بمعناه وهو (ريح شديدة تهب فجأة وتكون مصحوبة بالمطر)، يجهل أن «في لغتنا لفظاً يقابل هذا المصطلح تمام المقابلة وهو (الثائب). جاء في القاموس: الثائب: الريح الشديدة تكون في أول المطر[37]».

ان نقص الزاد اللغوي من الالفاظ العربية ينعكس على زيادة الجنوح الى التعريب اللفظي أو الهروب اليه، فليست أسماء الأوعية في العربية من القلة بحيث تُلجئنا إلى تعريب كلمة (Dame jeume) إلى (دَمْجَنَة)، «في حين أن الفصحى تستخدم (دَبَّة)، وهي كلمة شائعة في أقطار الخليج[38]».

ومن ضعف الخبرة اللغوية جهلُ القواعد النحوية والصرفية الذي أدى الى مصطلحات متناقضة في معانيها. ففي (مصطلحات علم المياه) مثلا ترجم المصطلح (Contraction) بمصطلحَيْن هما (الانكماش، التقليص)[39]. وواضح أن هذين المصطلحين غيرُ صحيحين بقياس أحدهما الى الآخر، لأن الانكماش مصدرُ فعلٍ لازم، والتقليص مصدر فعل متعد، ولايمكن أن يدل المصطلح في نفسه على هذين المعنيَيْن المتباينين، فانكماش المساحة غير تقليصها. وورد في معجم للرياضيات: مصطلح (Trisection): يعني التقسيم إلى ثلاثة أجزاء، اختير له (تثليث)، والمصطلح (Trichotomy): يعني: الانقسام الى ثلاثة أجزاء، اختير له المصطلح (تثليث)[40]. وواضح أن معنى (انقسام إلى ثلاثة أجزاء) بصيغة المطاوعة هذه، لايوافقه مصطلح (تثليث) مصدر المتعدي (ثَلَّث)، بل يناسبه مصدر الفعل اللازم تَثَلَّث وهو (تَثَلُّث).

وفي مصطلحات علم الكيمياء تُرجم المصطلح (Neutral réaction) (بتفاعل متعادل)، وصوابه على حدّ قول الكواكبي: (تفاعل معتدل)، والفرق واضحٌ بين مدلولَيْ كل من (متعادل ومعتدل)، ولا يمكن أن يجتمعا معاً في مصطلح دقيق، لأن (المتعادل) «هو

المتكافىء أو المتساوي، وليس هو المقصود من الكلمة الافرنجية (Neutre)[41]. »»

3- ضعف الخبرة في الترجمة: تتطلب الترجمة أن يكون مايعرفه المترجم في اللغة المنقول اليها بوزان مايعرفه من اللغة المنقول منها، لكن هذا الشرط يصعب تحقيقه، ولذا رأينا أخطاء في الترجمة انعكست سلبياً على دقة المصطلح. وأظهر أخطاء الترجمة شكلان:

آ ـ الترجمة الحرفية: مثال ذلك ـ على حد تقرير عن مشروع معجم الكيمياء العامة ـ ترجمة المصطلح (Organisation) بكلمتَيْ (تعضية وتعضّي)، وترجمة (Porent sultané) بعبارة (مادة نتوج)[42]. ويمكن أن نعد من هذا القبيل ترجمة المصطلح (Efféмination) بكلمتَيْ (نَسْوَنة، استئناث)[43]، وهي ترجمة حرفية كما يُرى، أما الترجمة بالمعنى فيناسبها كلمة (تَخَنُّث).

ب ـ ترجمة المصطلح بعبارة طويلة: من ذلك ترجمة المصطلح (Cognation) بعبارة: (قرابة دموية من ناحية الأم)[44]، في حين عندنا في العربية كلمة (الخُؤولة) تغني عن تلك العبارة كاملة. ومن هذا القبيل أيضا ترجمة المصطلح (Apoplexie) بعبارة (فقدان الشعور والحركة والاختيارية)[45] مع أن كلمة (الفالج أو الفلاج) تعبّر تماما عن المعنى المقصود. ومنه ترجمة المصطلح (Asthenie) بعبارة (ضعف القوة)[46]، وكان بالإمكان استعمال كلمة (وَهَن).

ج ـ ترجمة المصطلح بمعزل عن مقارباته من المصطلحات الأخرى، وهذا ما أدى الى ترجمة ثلاث كلمات أجنبية هي: (Public, Général, Universal) بكلمة عربية واحدة هي (عام) دون مراعاة الفروق الدقيقة بينها[47].

وترجمت سبعة مصطلحات أجنبية هي (Régulation, Statue, By-Lanis, Système, Régime, Ordre, Discipline) بكلمة واحدة هي (نظام) «مع بعد الشقة بين معانيها المختلفة»[48].

ولذا، فإن توخي الدقة يتطلب ترجمة المصطلحات متقاربة المعنى بمعالجتها دفعة واحدة، ليتسنى إظهارُ الفروق النوعية فيما بينها، وهكذا «وُضعت:

الممـانعة لترجمة Réluctance

والمقاومة لترجمة Résistance

والمعاوقة لترجمة Impédance[49]

وقد تنبه بعض المعجميّين إلى هذه الحقيقة عندما قال: «إن ادراك المقصد الصحيح لمضمون اللفظ لايتأتى إلا بمعالجته مع بقية المجموعة المترادفة. . . . وهكذا يكفل التنسيق بين مختلف المعاني العلمية، استقامةَ التعبير عنها، فلا يحدث خلط بين الألفاظ الاصطلاحية، أو فسادٌ في المعنى إذا ماعولجت على انفراد[50]. «ومراعاة لهذه القاعدة في الترجمة قام مجمع القاهرة بوضع مجموعة المصطلحات المتقاربة الدالة على حلقات التصنيف الحيوانية والنباتية دفعة واحدة، فخص كل مرادف بمصطلح واحد، بعد أن كثر الخلط فيما بينها، وهي من الأعلى الى الأدنى:

1- شعبة (Embranchement)، 2- طائفة (Classe)، 3- رتبة (Ordre)، 4- فصيلة (Famille)، 5- قبيلة (Tribu)، 6- جنس (Genre)، 7- نوع (Espèce)، 8- سلالة (Race)، 9- صنف (Variété)، 10- فرد (Individu).

ويعد الشهابي هذه المصطلحات من أدق ما أقره المجمع[51].

ومن المصطلحات المترادفة التي ترجمت دفعة واحدة لضمان دقتها المجموعات التالية على سبيل المثال[52]:

1- أولي	Elementary
- ابتدائي	Primary
- بدائي	Primitive
2- ضروريات	Nécéssities
- احتياجات	Needs
- مطالب	Requirements
- مستلزمات	Requisites

4 ـ **عدم دقة المصطلح ووضوحه في لغة الأصل**: على أن المعرب ليس هو المسؤول دائما عن دقة المصطلح العربي، اذ قد يكون القصور فيها متسرباً من الغموض والإبهام في المصطلح الأجنبي الأصلي، ذلك أن كثيراً من المصطلحات الأجنبية لم تحدَّد تحديداً دقيقا، ويختلف مفهومها من عالم الى آخر، فالمصطلح العربي في مثل هذه الحالة يرث مشكلات تتعلق باللغة المنقول عنها. «ومن أمثلة ذلك المصطلحان الانكليزيان (Phonologie, Phonétics)، فعلى الرغم من كثرة ترددهما في علم اللغة الانكليزي، فإننا نجد لهما عدداً من التفسيرات التي توقع في حيرة وارتباك:

« آ ـ فقد استعمل (دوسوسير) اللفظ (Phonétics) للدلالة على ذلك النوع من العلم التاريخي الذي يحلل الأحداث والتغيرات والتطورات. . . . في حين حدَّد مجال (Phonologie) بدراسة العملية الميكانيكية للنطق، وعدَّه من أجل ذلك مساعداً للألسنية.

ب ـ أما مدرسة (براغ) فتستعمل مصطلح (Phonologie) في عكس ما استعمله فيه (دوسوسير)، إذ تريد بذلك، الفرع من الألسنية الذي يعالج الظواهر الصوتية من ناحية وظيفتها اللغوية، ولذلك نجدها تعتبر (الفونولوْنجي) فرعاً من الالسنية، أما (الفوناتكس) فقد أخرجه معظم رجالها من الألسنية، واعتبروه علماً خالصا من علوم الطبيعة، يقدم المساعدة للألسنية.

ج ـ واستعملت الألسنية الاميركية مصطلح (فونولوجي) لعشرات السنين في معنى (تاريخ الأصوات)، ودراسة التغيُّرات التي تحدث في أصوات اللغة نتيجة تطورها. . . أما المصطلح (فوناتكس) فقد استعمل في معنى العلم الذي يدرس الاصوات الكلامية ويصنفها، ويحللها من غير إشارة الى تطورها التاريخي. . . وعلى هذا فالفرعان يعدان من صميم الالسنية.

د ـ ومن الألسنيين من رفض الفصل بين مايسمى (فوناتكس)، و(فونولوجي)، لأن أبحاث كل منها تعتمد على الاخرى، ووضع الاثنين تحت المصطلح (فوناتكس أو

فونولوجي). . . .

وقد انتقل الخلاف في مفهوم المصطلحَيْن الى اللغة العربية، فاستعملها الالسنيون العرب، كل حسب دراسته ومدرسته الألسنية. فمنهم من أبقى المصطلح (فوناتكس) وعرَّبه الى (فوناتيك)، ومنهم من عبَّر عنه بالمصطلح (الصوتيات أو علم الأصوات، أو علم الاصوات اللغوية، أو علم الاصوات العام). وحدث الشيء نفسه بالنسبة للمصطلح (فونولوجي)، فمنهم من أبقاه وعرَّبه إلى (فونولوجيا)، ومنه من عبَّر عنه بالمصطلح (علم الفونيمات أو علم الأصوات أو علم الاصوات التاريخي أو علم الأصوات التنظيمي، أو علم وظائف الأصوات، أو علم التشكيل الصوتي، أو علم الأصوات التشكيلي أو الصوتمية. . [53]»

فليس غريبا ـ والحالة هذه ـ أن تأتي المصطلحات العربية المقابلة لهذين المصطلحين الاجنبيين غير دقيقة مبهمة، وهي ترث معها كل ما يحيط بهما من غموض وتناقض.

ومن ذلك أن من يترجم عن الفرنسية المصطلح (Force) بكلمة (قوة)، قد يُتَّهم بعدم الدقة العلمية، بالقياس لمن يترجم عن الانكليزية، لأن الأخيرة وضعت للقوة (Force) وللقدرة (Power)، في حين عبرت الفرنسية عن المفهومَيْن في التعابير الميكانيكية بكلمة واحدة هي (Force)، تدل على القوة حيناً، وعلى القدرة حينا آخر[54]. فإن كان ثمة عدم دقة هنا، فانها موروثة من لغة الأصل كما نرى.

4) وسائل دقة المصطلح:

إن الوصول الى مصطلح دقيق علميا، يعني تجنُّب مظاهر نقص الدقة التي ذكرناها، فما السبيل الى ذلك؟

لقد تبين لنا أن من يتصدى لوضع المصطلح يجب أن تتوفر فيه ثلاث صفات: «الأولى: أن يكون قد مارس العلم، والثانية أن يكون متقنا للغة العربية وفقهها، والثالثة أن يكون متقنا للغةٍ أوربية أو أكثر[55]. ويضيف الدكتور شاكر فحام صفة رابعة هي أن يكون عاملا في «نطاق مجمعٍ أو جامعة أو منظمة متخصصة»[56]. والسؤال الذي نطرحه هو: من ذا الذي يمكن أن تتوفر فيه هذه الصفات مجتمعة؟

إننا في عصر تفرعت فيه العلوم، ومالت الى التخصص الشديد والتعمق فيه، ومثلُ هذه الحالة لاتعطي للمتخصصين العلميين الوقتَ، لأن ينالوا القدر الكافي من اللغة، الذي يؤهلهم للمشاركة في وضع المصطلح غالباً، وحتى للتعبير اللغوي السليم أحيانا، فإذا

كان الادباء والقضاة والصحافيون قد «مكنتهم طبيعة عملهم واختصاصهم وجهودهم الشخصية طبعاً، من الحصول على نصيب وافر من علوم اللغة، فإن هذا لاينطبق على الكثرة الساحقة من مهندسينا واختصاصيينا في فروع العلم والتقنيات[57]. «اننا نرى أن «من العسير أن نطالب الخبير بالتمكن من الاختصاص الى أقصى درجة، وفي الوقت نفسه أن يكون مقتدراً في لغته العربية، بحيث يكون تفكيره علمياً وتعبيره فصيحاً سليماً من كل عيب[58]».

واذا كان من غير المنطقي أن نطالب العلميين أن يجمعوا إلى تعمُّقهم العلمي تعمقا لغوياً، فان من غير المنطقي كذلك، أن نطالب اللغويين بأن يجمعوا الى تفقههم اللغوي تعمقا علميا وفنياً. وغني عن البيان أن مطالبة المترجم الخبير بلغة أجنبية، بأن يكون متفقهاً بالعربية ومتعمقا باختصاص علمي بآن، هي مطالبة أكثر منافاة للمنطقية. أما ما يدعو إليه بعضهم من تأهيل أعضاء هيئة التدريس الجامعي واتباعهم بدورات لغوية أو تزويدهم بمراجع لغوية خاصة تساعدهم في عملهم، فذلك مما ينفع في تحسين مستوى لغتهم التعليمية، لكن سلامة لغة الحديث والدرس شيء، ووضع المصطلح العلمي شيء آخر، على مابينهما من صلة. وليس كل مدرس في ثانوية أو جامعة بقادر على وضع المصطلح العلمي الدقيق السليم.

فاذا قررنا صعوبة تحقق شروط وضع المصطلح في فرد واحد، متخصصاً علمياً كان أم لغوياً أم مترجماً، فان الحل العلمي الممكن هو تعاون هذه العناصر الثلاثة: العالم واللغوي والمترجم، في تعريب المصطلح، لأنه مهمة متعددة الجوانب، ولايصح أن ينفرد بها عنصر دون آخر، وان محاولات ـ المفاضلة بين أي من الجهتين ـ العلمية أم اللغوية ـ هي صاحبة الحق في الاصطلاح، لهي محاولات فجَّة تستند إلى عصبية مهنية تتنافى وأبسط شروط العمل العلمي. وان الخبرتين العلمية واللغوية هما جناحا الاصطلاح الذي لايمكن أن يحلِّق بواحد منهما.

إنَّ عمل المختص العلمي أن يوضِّح مفهوم المصطلح الأجنبي، ويقدم تعريفه العلمي، وعلاقته مع مايقاربه من مصطلحات، وعمل الخبير باللغة الأجنبية أن يقدم الدلالات اللغوية، الأصلية والمكتسبة لهذا المصطلح، وأن يلقي الضوء على أصوله في اليونانية واللاتينية ـ إن كان له صلة بهما ـ ثم يشترك هذان العنصران في اقتراح المصطلح العربي المقابل له. أما عمل اللغوي فهو أن يقر التسمية التي يقترحانها ما لم تخالف أصلاً لغوياً،

أو قاعدة نحوية أو صرفية، في العربية، وقد يقترح تسمية يضعها بين يدى المختص العلمي والمترجم، على أن تعمل هذه العناصر الثلاثة في إطار فريق عمل متكامل، وبروح جماعية هدفها المصطلح الدقيق علمياً السليم لغوياً: الدقة في حدود مايطلبه المصطلح الذي هو رمز وتواضعٌ بالدرجة الأولى، والسلامة اللغوية في حدود سماحة اللغة. واذا كان ثمة من يرى أن مهمة اللغوي لاتعدو أن تكون عاملاً مساعداً[59]، فاننا نرى أنها مهمة تشبه مهمة (الوسيط) في التفاعلات الكيماوية، الذي هو شرط لاغنى عنه لحدوثها على وجهٍ كامل. وكان مما أخذه المجمعي المهندس وجيه السمان على المعجم الهندسي الموحد، أن المعجم لم يراع الأصول اللغوية، لانه لايمكن «أن يصنع هذه الأصول أناسٌ غير بصيرين باللغة وقواعدها وأساليبها وخفاياها، والذين عانوا أمداً طويلا مشكلة وضع المصطلحات العلمية، وأقصد بهم أعضاء المجامع العلمية ذوي الاختصاص، في حين أن قوائم اللجان الواردة في أول المقدمة ـ مقدمة المعجم ـ خالية منهم تماما[60].»

وإذا كان ثمة من يرى «أن المشكلة عندنا هي مشكلة معرفة اللغة العربية» فحسب، فاننا نرى أن اللغوي وحده لايمكن أن يضع دالاً صحيحاً لمدلول لايعرف دلالته الدقيقة.

لقد أدرك هذه الحقيقة ـ أعني حتمية التعاون بين المختصين العلميين واللغويين ـ معظم المعرّبين الذين واجهوا المسألة بجدية، فإن لجان المصطلحات في مجمع القاهرة، تضم نخبة من المختصين العلميين الى جانب اللغويين المجمعيين، أما مجمع دمشق فإن معظم أعضائه من المتخصصين العلميين، ومن بين أربعة رؤساء لهذا المجمع كان اثنان من العلميين، هما عالم النبات مصطفى الشهابي والطبيب حسني السبح. كما أن معظم لجان المعاجم العلمية المتخصصة جمعت بين العلميين واللغويين كما في (معجم مصطلحات العلم والتكنولوجيا ـ ماكروهيل)، والمعجم العسكري الموحد، ومعجم مصطلحات الاتصالات السلكية واللاسلكية، الذي بيَّن مديرُ مشروعه «أن الجهاز التنفيذي العلمي المقترح يتألف من أربعة مترجمين متخصصين في الترجمة العلمية، وأربعة مهندسين متخصصين في مجال الاتصالات، وأربعة مجمعيين وجامعيين متخصصين في قضايا اللغة ووضع المصطلحات العلمية والفنية، وموثقٍ متخصص في التوثيق العلمي، واختصاصيَّيْن في الإعلام وفي تخزين المصطلحات المترجمة[61]». وقد ثبت أن المعاجم المصطلحية التي خلت من متخصص علمي أو لغوي، لم يكن حظها من الدقة، ولا من الرواج مقبولا.

إن أهمية إعداد الملاكات القادرة على وضع المصطلح وتعريب التعليم الجامعي،

دعت بعضَ الباحثين إلى أن يعرض للنقاش إمكان «إنشاء أكاديمية للتعريب في الجامعات العربية، أملاً في أن يتحقق بوساطتها تهيئةُ الأطر المؤهلة القادرة على تيسير متطلبات تعريب التعليم في الجامعات[62].»

ومن أبرز هذه المتطلبات وضع المصطلح العلمي العربي الدقيق.

التوثيق :

(1) الجاحظ ـ البيان والتبيين ج1: 116 تحقيق حسن السندوبي ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر ـ ط 4 1956\1375

(2) أحمد شفيق الخطيب ـ منهجية وضع المصطلحات العلمية الجديدة ـ مجلة اللسان العربي ع19/ ج1: 38 (الكويت 1989)

(3) د. ابراهيم مدكور ـ مدى حق العلماء في التصرف في اللغة ـ مجلة مجمع القاهرة 11 : 144 ـ 145 (القاهرة 1945).

(4) د. مصطفى جواد ـ المباحث اللغوية في العراق: 115، مطبعة المثنى، بغداد ـ ط 2 1945\1385

(5) مصطفى الشهابي ـ خواطر في اللغة ـ مجلة مجمع دمشق مجلد 29/ جزء 1: 8

(6) د. قاسم سارة ـ تعريب المصطلح العلمي ـ مجلة عالم الفكر 19\1: 84 (عدد عن التعريب) (الكويت 1989)

(7) محمد شيث صالح الحياوي ـ كلمات متداولة ـ مجلة اللسان العربي ع16/ ج1: 171

(8) د. محمد رشاد الحمزاوي ـ أعمال مجمع القاهرة: 405 (والعبارة لمحمد كامل حسين) دار الغرب الاسلامي ـ بيروت، ط 1 1988

(9) ابن سيدة ـ المخصص 2: 48 ـ لجنة إحياء التراث العربي ـ دار الآفان الجديدة ـ بيروت ـ بلا تاريخ

(10) ينظر: الخليل بن أحمد ـ كتاب العين 5: 426 وابن دريد ـ جمهرة اللغة 3: 333 (دار المعارف العثمانية ـ الهند ـ 1345 هـ).

(11) د. ابراهيم مدكور ـ المصطلحات العلمية ـ مجلة مجمع القاهرة 18: 8 (القاهرة 1952)

(12) وديع فلسطين ـ استقرار المصطلح العلمي ـ مجلة مجمع دمشق مجلد 1/51: 112 (دمشق 1976)

(13) المصدر السابق نفسه

(14) مصطفى الشهابي ـ خواطر في اللغة ـ مجلة مجمع دمشق مجلد 1/39 : 8 (دمشق 1964)

(15) وجيه السمان ـ الدقة والغموض في المصطلح ـ مجلة مجمع دمشق مجلد 1/49 : 91 (دمشق ـ 1972)

(16) د. عبد الكريم اليافي ـ تجربتي في تعريب المصطلحات ـ مجلة مجمع دمشق 4/53 : 807 (دمشق 1978)

(17) د. نزار الزين ـ عملية التعريب ـ مجلة الوحدة 33: 39 (عدد خاص عن اللغة) (المغرب 1989)

(18) عمر رضا كحالة ـ الألفاظ المعربة والموضوعة في السنوات العشر الثالثة : 29 ـ مطبعة الترقى دمشق 1964

(19) المصدر السابق نفسه: 45

(20) المجمع العراقي ـ مصطلحات علوم المياه ـ مجلة المجمع العراقي 20 : 156 (بغداد 1970)

(21) وديع فلسطين ـ استقرار المصطلح ـ مجلة مجمع دمشق 1/51 : 108 ـ 109 (دمشق 1976)

(22) د. صلاح الدين الكواكبي ـ مصطلحات علمية: 42 مطبعة الجامعة السورية ـ دمشق ط 2، 1942

(23) وجيه السمان ـ نظرة في المعجم الهندسي الموحد ـ مجلة مجمع دمشق 4/46 : 861 (دمشق 1975)

(24) د. حسني سبح ـ نظرة في معجم المصطلحات الطبية ـ مجلة مجمع دمشق 4/57 : 553 ـ 554 (دمشق 1982)

(25) د. أحمد عمار ـ المصطلحات الطبية ـ مجلة مجمع القاهرة 8 : 420 (القاهرة 1942)

(26) عمر رضا كحالة ـ الألفاظ المعربة والموضوعة في السنوات العشر الثالثة : 7 ـ مطبعة الترقى دمشق 1964

(27) وجيه السمان ـ نظرة في المعجم المهندسي الموحد ـ مجلة مجمع دمشق 4/56 : 867 (دمشق 1981)

(28) د. نزار الدين الزين ـ عملية التعريب ـ مجلة الوحدة ع33: 37 (عدد خاص عن اللغة) (المغرب 1987)

(29) د. احمد مختار عمر ـ المصطلح الألسني العربي ـ مجلة عالم الفكر 3/20: 584 (الكويت 1989)

(30) مصطفى الشهابي ـ بعض المؤلفات الحديثة في المصطلحات العملية مجلة مجمع دمشق 2/37: 187 (دمشق 1962)

(31) د. محمد كامل عياد ـ المعجم الفلسفي للدكتور جميل صليبا ـ مجلة مجمع دمشق 1/50: 182 (دمشق 1975)

(32) د. مرشد خاطر ـ ملاحظات على مصطلحات مجلة مجمع دمشق 4/29: 618 (دمشق 1949)

(33) د. محمد هيثم الخياط ـ رأي في مصطلحات المجمع ـ مجلة المجمع العراقي 12 : 318 (بغداد 1962)

(34) د. أحمد شفيق الخطيب ـ منهج بناء المصطلح ـ مجلة اللسان العربي 1/20: 92 (المغرب 1982)

(35) وجيه السمان ـ الدقة والغموض في المصطلح ـ مجلة مجمع دمشق 1/41: 90 (دمشق 1966)

(36) أحمد الأخضر غزال ـ المنهجية الجديدة لوضع المصطلحات: 13 (الرباط ـ بلا تاريخ) مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ـ ط 3 1988

(37) المصدر السابق: 13 ـ 14

(38) د. محمد المنجي الصيادي ـ التعريب وتنسيقه في الوطن العربي: 320

(39) المجمع العراقي ـ مصطلحات علم المياه ـ مجلة المجمع العراقي 20: 161 (بغداد 1972)

(40) د. فوزي دنان ورفاقه ـ معجم رياضيات: 17، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ـ الكويت ـ ط 1 1984

(41) د. صلاح الدين الكواكبي ـ ملاحظات على مصطلحات كيماوية ـ مجلة مجمع دمشق 3/30: 522 (دمشق ـ 1955)

(42) د. حامد جوهر ـ تقرير عن مشروع معجم الكيمياء العامة ـ مجلة مجمع القاهرة 52: 195 (القاهرة 1986)

(43) د. رشدي الفكار ـ مصطلحات علم الاجتماع ـ مجلة اللسان العربي 2/16 (المصطلح 244) (المغرب ـ 1978)

(44) المصدر السابق ـ المصطلح: 134

(45) د. رشدي الفكار ـ مصطلحات علم الاجتماع ـ مجلة اللسان العربي 2/16 (المغرب 1978)

(46) المصدر السابق ـ مصطلح: 70

(47) وديع فلسطين ـ استقرار المصطلح ـ مجلة مجمع دمشق 1/51: 109 (دمشق 1976)

(48) المصدر السابق: 111

(49) د. عبدالحليم منتصر ـ خصائص اللغة العربية في التعبير ـ مجلة مجمع القاهرة 33: 47 (القاهرة 1974)

(50) أحمد شفيق الخطيب ـ معجم المصطلحات العلمية والفنية: 31 مكتبة لبنان ـ بيروت ط 6 1984

(51) مصطفى الشهابي ـ المصطلحات العلمية في اللغة العربية: 155 ـ مطبوعات مجمع اللغة العربي بدمشق ط 2 1965

(52) د. أحمد شفيق الخطيب ـ معجم المصطلحات العلمية والفنية: 31 ـ 32 مكتبة لبنان ـ بيروت ط 6، 1984

(53) د. أحمد مختار عمر ـ المصطلح العربي الألسني ـ مجلة عالم الفكر 3/20: 584 ـ 585 (الكويت 1989)

(54) د. أحمد شفيق الخطيب ـ معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية: 447 ـ مكتبة لبنان ـ بيروت ط 6، 1984

(55) د. عبدالحليم منتصر ـ مشكلة المصطلحات ـ مجلة مجمع القاهرة 13: 205

(56) كارم السيد غنيم ـ اللغة العربية والنهضة العلمية ـ مجلة عالم الفكر 4/19: 68 (الكويت 1989)

(57) د. احمد شفيق الخطيب ـ منهجية وضع المصطلحات ـ مجلة اللسان العربي

19\1 : 66 (المغرب 1981)

(58) د. محمد المنجي الصيادي ـ التعريب وتنسيقه في الوطن العربي: 64 ـ مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ط 3، 1988

(59) د. نزار الزين ـ علمية التعريب ـ مجلة الوحدة 33: 36

(60) وجيه السمان ـ نظرة في المعجم الهندسي الموحد ـ مجلة مجمع دمشق 4/56: 861 (دمشق 1981)

(61) وجيه السمان ـ معجم المصطلحات العربية للاتصالات السلكية واللاسلكية ـ مجلة مجمع دمشق 2/61: 231 (1986)

(62) د. كمال القيسي ـ عملية التعريب ومستلزماتها ـ مجلة اللسان العربي 1/16: 124 (المغرب 1987)